<"xml encoding="UTF-8?>

السيد ابن طاووس في سطور *

الشيخ هادي حسن . لبنان

اسمه ونسبه :

هو السيّد علي بن موسى بن جعفر بن محمد ، الملقَّب بـ (الطاووس) (1) أحدُ أجداده ، المنتهي نسبه إلى الحسن المثنّى بن الحسن المجتبى ، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

مولده :

ولِدَ ـ كما صرَّح هو ـ يوم الخميس منتصف محرَّم الحرام سنة (589 هـ) ، في مدينة الحلّة ـ السيفية ـ في العراق .

نشأته :

نشأ في بيت يجلِّله الإيمان والطُّهر والعفَّة والشرف ، في أُسرةٍ عريقة ، من الأُسر العلمية التي عُرفتْ بالمكارم والفضائل .

فكانت بداية نشأته على يد والده وجدّه لأُمّه الشيخ (ورّام بن أبي فراس المالكي) ، قال (رحمه الله) : (تعلَّمتُ الخطَّ والعربية ، وقرأتُ في عِلم الشريعة وغيرها ، وقرأتُ كتباً في أُصول الدين ... وفي علم الكلام) .

إلاّ أنَّه رفض التصدِّي للفُتيا والقضاء ، يقول (رحمه الله) : (وأراد بعض شيوخي أنْ أُدرِّس وأُعلِّم الناس ، وأفتيهم ، وأسلُك سبيل الرؤساء المتقدِّمين ، فوجدتُ الله جلَّ جلاله يقول : (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ) [الحاقَّة : 44 ـ 47] ، فكرهتُ وخفتُ من الدخول في الفتوى ؛ حذراً أنْ يكون فيها تقوّلٌ عليه ، وطلبُ رئاسةٍ لا أُريد بها التقرّب إليه ، فاعتزلتُ عن أوائل هذا الحال ، قبل التلبّس بما فيها من الأهوال) .

هاجر في شبابه من الحلّة إلى بغداد ؛ وكان سببها أنْ عرض عليه أبواه التزويج ، وكان كارهاً لذلك ، فأدّى ذلك إلى

إقامته قُرب مشهد مولانا الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ، وبقيَ فيها مدّة حتى اقتضت الاستخارة التزويج بابنة الوزير ناصر بن مهدي (رحمه الله) ، والظاهر أنَّ قدومه كان قريباً من سنة (625 هـ) ، حيث إنَّ بعض المصادر تقول : إنَّه أقام في بغداد قُرابة خمسة عشر سنة ، ثمّ رجع إلى الحلّة عام (640 هـ) .

مرَّت عليه أحداث كثيرة في بغداد ، وخصوصاً أنَّه عاصر الحُكمين : العباسي والمغولي .

لقد أُحيط في بغداد بالاحترام الكثير ، ومن ذلك أنَّ الخليفة العباسي قدَّم له داراً لسكناه .

كانت له صلات وثيقة بفقهاء (المستنصرية) ، ومناقشات ومحاورات معهم ، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالوزير القمّي وولده ، والوزير ابن العلقمي وأخيه وولده .

أمّا علاقته بالمستنصر العباسي فكانت قويّة جداً ، فكانت له كلمة عنده يسعى فيها لتعيين الرواتب للمحتاجين ، وقد فاتحه المستنصر بتسليمه الوزارة ، فأبى ، وعرض عليه منصب الإفتاء فرفضه ، وبعد الرفض واجه مشكلة السعاية لدى الخليفة ، لكن كما يقول : (فكفاني الله جلَّ جلاله بفضله ، وزادني من العنايات) ، ثمّ دعاه المستنصر إلى قبول نقابة الطالِبِيِّين على يد الوزير القمّي تارةً ، وعلى يد غيره من أكابر دولتهم تارةً أُخرى ، وبقيَ الخليفة العباسي يطالبه بين الفينة والأُخرى بطرقٍ مختلفة ، إلى أنْ يقول (رحمه الله) : (وبقيَ على مطالَبتي بذلك عدّة سنين ، فاعتذرتُ بأعذارٍ كثيرة) .

ثمّ عاد وكلَّفه الخليفة بالدخول بالوزارة وضَمِنَ له أنْ يبلغ به إلى الغاية ، وكرَّر المراسلة والإشارة ، فأجابه السيّد قائلاً : (إنْ كان المراد بوزارتي على عادة الوزراء ، يُمشون أُمورهم بكل مذهبٍ وكل سبب ، سواء أكان ذلك موافقاً لرضا الله جلّ جلاله ورضا سيّد الأنبياء والمرسلين (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، أو مخالفاً لهما في الآراء ، فإنَّك مَن أدخلتَه في الوزارة ، قام بما جرت عليه العوائد الفاسدة ، وإنْ أردت العمل في ذلك بكتاب الله جلَّ جلاله وسنّة رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ، فهذا أمرٌ لا يحتمله مَن في دارك ، ولا مماليكك ، ولا خدمك ، ولا حشمك ، ولا ملوك الأطراف ، ويقال لك ـ إنْ سلكت سبيل العدل والإنصاف والزهد ـ : إنَّ الخلافة لو كانت إليهم كانوا على هذه القاعدة من السيرة ، وإنَّ في ذلك ردّاً على الخلفاء من سلفك ، وطعناً عليهم) .

نعم ، لِمثل هذا يقال : إنَّه عازِفٌ عن الدنيا ، حيث عُرِضتْ عليه بأرخص الأثمان وأغلاها ، وبالأساليب المختلفة ألوانها ، وفتحتْ له الدنيا ذراعيها ، ولكن لمّا كانت عينه بعينِ الله ومتوكّلاً عليه كفاه الله شرَّ هذه المناصب .

فعاد إلى الحلّة ، وبقيَ فيها مدةً ، حيث ولِدَ له ابنه محمد سنة (643 هـ) ، ثمّ انتقل إلى النجف فبقيَ فيها ثلاث سنين ، وولِدَ له ابنه علي سنة (646 هـ) ، ثمّ انتقل إلى كربلاء ، ولم تُعلَم مدة إقامته فيها ، ثمّ عاد إلى بغداد سنة (652 هـ) وبقيَ فيها إلى حين احتلال المغول بغداد ، فشارك في رزاياها ومِحنِها ، وشملتْه آلامها ، قائلاً : (تمَّ احتلال بغداد من قِبَل التتار في يوم الإثنين (18) محرَّم سنة (656 هـ) ، وبتنا في ليلة هائلة من المخاوف الدنيوية ، فسلَّمَنا الله ـ جلَّ جلاله ـ من تلك الأهوال) .

وبعد احتلال بغداد ، أمر (هولاكو) أنْ يُستفتى العلماء : أيّما أفضل : السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر ؟ ثمّ جمع العلماء بالمستنصرية لذلك ، فلمّا وقفوا على الفُتيا أحجموا عن الجواب ، وكان السيّد (رحمه

الله) حاضراً ذلك المجلس ، وكان مقدَّماً ومحترماً ، فلمّا رأى إحجامهم تناول الفُتيا ووضع خطَّه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم بعده .

فكان من فوائد هذه المبادرة ما أشار إليه بقوله : (ظفرت بالأمان والإحسان ، وحُقِنتْ فيه دماؤنا ، وحُفِظتْ فيه حُرَمُنا وأطفالنا ونساؤنا ، وسَلُمَ على أيدينا خلقٌ كثير) .

وفي سنة (661هـ) ولِّيَ نقابة الطالِبيِّين ، وبقيَ نقيباً إلى سنة (664 هـ) التي توفّي فيها (2) .

أقوال العلماء فيه :

قال العلاّمة الحلّي في بعض إجازاته : (وكان رضي الدِّين علي : صاحب كرامات ، حُكِيَ لي بعضها ، وروى لي والدي البعض الآخر) .

وقال في موضع آخر : (إنَّ السيّد رضي الدِّين كان أزهد أهل زمانه) (3) .

قال السيد التفريشي : (من أجلاّء هذه الطائفة وثقاتها ، جليل القدر ، عظيم المنزلة ، كثير الحفظ ، نقي الكلام ، حاله في العبادة أشهر من أنْ يُذكَر ، له كُتُب حسنة) (4) .

وقال عمر رضا كحالة : (فقيهٌ ، محدِّثٌ ، مؤرِّخٌ ، أديبٌ ، شارك في بعض العلوم ، وله تصانيف كثيرة) (5) .

وقد أثنى عليه جمعٌ كثيرٌ من العلماء والمؤرِّخين ، ونكتفي بهذا المقدار رعايةً للاختصار .

مصنَّفاته :

مصنَّفاته كثيرة ، وقد تجاوزتْ الخمسين مؤلَّفاً ، نذكر منها :

ـ الإبانة في معرفة أسماء كُتُب الخزانة .

ـ أسرار الصلاة .

ـ إسعاد الفؤاد على سعادة الدنيا والمعاد .

ـ الاصطفاء في تواريخ الملوك والخلفاء .

ـ الأنوار الباهرة في انتصار العترة الطاهرة .

ـ روح الأسرار وروح الأسمار .

ـ شفاء العقول من داء الفُضول .

ـ الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف .

ـ طرف من الأنباء والمناقب في التصريح بالوصيّة والخلافة لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

ـ غياث سلطان الورى لسكّان الثرى ، في قضاء الصلاة عن الأموات .

ـ فَرَجُ المهموم في معرفة نهج الحلال والحرام من عِلم النجوم .

ـ الكرامات .

ـ الملهوف على قتلى الطفوف .

ـ مُهَج الدعوات ومنهج العنايات .

مشايخه في القراءة والرواية :

1 ـ والده السيّد الشريف موسى بن جعفر ... بن طاووس .

2 ـ الشيخ محمد بن نما .

3 ـ جدّه لأُمّه الشيخ (ورّام بن أبي فراس المالكي) ، صاحب المجموعة الأخلاقية الشهيرة .

4 ـ الشيخ حسين بن أحمد السوراوي .

5 ـ الشيخ الزاهد حسن بن الدربي .

6 ـ السيّد فخّار بن معد الموسوي .

7 ـ الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني .

8 ـ الشيخ محمد بن الفخّار ، شيخ المحدِّثين بالمدرسة المستنصرية ببغداد .

وغيرهم من الأعلام الثقات .

تلامذته والراوون عنه :

1 ـ العلاّمة الحلّي ، صاحب التصانيف المعروفة .

2 ـ الشيخ علي بن عيسى الإربلي .

3 ـ ابن أخيه السيّد عبد الكريم بن أحمد بن موسى .

وغيرهم من الأعلام .

وفاته ومدفنه :

توفّي في بغداد يوم الإثنين ، خامس ذي القعدة سنة (664 هـ) (6) ، وهذا من المتَّفق عليه عند الجميع ، لكن وقع التضارب في الكلام عن مدفنه ، فمنهم مَن ذَهَبَ إلى أنَّ قبره مجهول (7) ، وآخَر إلى أنَّه في الحلّة (8) ، وبعضٌ إلى أنَّ القبر المعروف في الحلّة هو قبرُ ابنه (9) .

أمّا الكلام الفصل ، فقد صرَّح هو في كتابه (فلاح السائل) : أنَّه اختار لنفسه قبراً في النجف في جوار مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) (10) ، وجَعَلَه تحت قَدَمَي والداه (رحمه الله) قائلاً : (لأنّي وجدتُ الله يأمرني بخفض الجناح لهما ، ويوصيني بالإحسان إليهما ، فأردتُ أنْ يكون رأسي مهما بقيتُ في القبور تحت قدميهما) .

في (الحوادث الجامعة) قال : (توفّي السيّد النقيب الطاهر رضي الدِّين علي بن طاووس ، وحُمِلَ إلى مشهد جدِّه علي بن أبي طالب (عليه السلام)) (11) .

ولا يخفى أنَّ ابن الفوطي أفضل مَن أرَّخ حوادث القرن السابع الهجري ، مضافاً إلى أنَّه من أعلام ذلك القرن .

---

* اقتباس وتنسيق قسم المقالات ، في شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي ، من مجلَّة : (نور الإسلام : العدد 89 ـ 90 / ص 41 ـ 44) .

(1) لُقِّبَ بالطاووس ؛ لحُسن وجهه وخشونة رجليه .

(2) تُرجم له في أمل الآمل : 2/205 ، تنقيح المقال : 2/310 ، الإجازات في بحار الأنوار : 107/ 37 ، الحوادث الجامعة : 356 ، الذريعة 2/343 ، ريحانة الأدب : 8/76 ، عُمدة الطالب : 190 ، الكُنى والألقاب : 1/339 ، جامع الرواة : 1/603 ، جامع المقال : 142 ، روضات الجنّات : 4/325 ، سفينة البحار : 5/340 ، مستدرك الوسائل : 3/467 ، هدية العارفين : 5/710 ، الأنوار الساطعة في المئة السابعة : 116 ، نقد الرجال : 244 ، مقابس الأنوار : 16 ، وسائل الشيعة : 30/467 ، أعيان الشيعة : 8/358 ، السيّد علي آل طاووس .. حياته ، مؤلَّفاته ، خزانة كُتُبه ، البابليات : 1/64 ، كشف الظنون : 166 ، لؤلؤة البحرين : 235 .

(3) أمل الآمل : 2/207 .

(4) نقد الرجال : 244 .

(5) معجم المؤلّفين : 7/48 .

(6) لؤلؤة البحرين : 241 ، أعيان الشيعة : 8/358 .

(7) م . ن : 241 .

(8) مستدرك الوسائل : 3/472 .

(9) لؤلؤة البحرين : هامش ص241 .

(10) فلاح السائل : 73 .

(11) الحوادث الجامعة : 256 .